

مصطفى باشا النحاس



زعيم وطني وشعبي انفرد منذ عام 1927م بحب وتأييد كامل من أفراد الشعب المصري هو مصطفى بن محمد بن سالم النحاس، ولد في 15 يونيو 1879م بمنزل العائلة الذي أنشئه جده سالم النحاس بسمنود، والده محمد النحاس كان يعمل في تجارة الأخشاب وهي التجارة التي اشتهرت بها سمنود في تلك الفترة ولم يكن تاجراً كبيراً وتمتع بحسن السيرة والسمعة كما عرف عنه الاستقامة حتى قيل عنه أنه (التاجر الذي لا

يكذب) وظل هكذا في مكانة عالية بين الناس حتى توفاه الله عام 1920م وكان ابنه مصطفى في الأربعين من عمره.

نشأ في بيت صالح من الطبقة المتوسطة فألحقه والده بالكتاب في سمنود فحفظ جزء من القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب وظهرت عليه علامات التفوق والنبوغ والاستقامة من صغره فحرص على الصلاة من سن العاشرة حتى آخر يوم في حياته وكلف والده أحد أساتذة اللغة الفرنسية بتعليمه إياها حيث كانت هي اللغة الأصلية في المدارس المنتشرة في مدن مصر الكبرى فتعلم الفرنسية واجادها.

وارسله إلى مكتب تلغراف محطة سكة حديد سمنود لإعدادة لشغل تلغرافي ولم يمض أسبوع على التحاقه حتى اجاد طريقة الإرسال والاستقبال وترجمة البرقيات اجاده تامه، ثم رحل إلى القاهرة وأدخله والده المدرسة الناصرية الابتدائية وكان ناظرها أمين باشا سامي في ذلك الوقت، ثم انتقل إلى المدرسة الخديوية الثانوية وظل متفوقاً على أقرانه في الخديوية حتى حصل على البكالوريا ورفض الانتقال إلى مدرسة الحربية مفضلاً الانتقال إلى مدرسة الحقوق وكان من أول الخريجين فيها.

وبعد تخرجه من مدرسة الحقوق فضل النحاس العمل في المحاماة عن الاشتغال بالقضاء فعمل محامياً في المنصورة لمدة ثلاث سنوات ثم انتقل للعمل بالقضاء فعين قاضياً بالمحاكم الأهلية واستمر بالسلك القضائي خمس عشرة سنة عُرف خلالها بالنزاهة والعدل حتى استقال في عام 1919م، وعاد إلى المحاماة من جديد كما أنه تفرغ للعمل السياسي والقضية الوطنية وكان من المعجبين بالزعيمين الوطنيين مصطفى كامل ومحمد فريد، وشارك في ثورة 1919م وهو ما يزال قاضياً وكان له دوراً كبيراً خلالها ولما تقرر سفر وفد مصري إلى باريس تم اختياره لعضوية الوفد المسافر

غير أن وزارة العدل لم توافق علي سفره وعلى إثر ذلك تقدم باستقالته من القضاء وسافر إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح.

ومنذ ذلك الحين أصبح النحاس سكرتيراً عاماً للوفد وظل مرافقاً للزعيم سعد زغلول في الكفاح الوطني واعتقل برفقته ومعهم باقي أعضاء حزب الوفد في 23/12/1921م ونفوا إلى جزيرة سيشل وظلوا في المنفى حتى 30/4/1923م عقب الإعلان الدستوري وعادوا إلى مصر وأقيمت انتخابات نيابية نزيهة في نفس العام.

وانتخب النحاس نائباً عن مسقط رأسه سمندو ليصبح أول نائب وفدي عن سمندو وحصل الوفد على الأغلبية في مجلس النواب، وعندما تولى سعد باشا زغلول رئاسة الوزارة للمرة الأولى في 28 يناير 1924م اختار مصطفى النحاس وزيراً للمواصلات في أول وزارة وفدية وظل في هذا المنصب حتى 24 نوفمبر 1924م حيث تقدمت الحكومة باستقالتها إلى الملك فؤاد وترتب عليها حل مجلس النواب.

توفي الزعيم سعد زغلول في عام 1927م واتجهت الأنظار إلى النحاس لخلافه صديقه وفي 19/9/1927م اختار أعضاء حزب الوفد بالإجماع النحاس رئيساً له، وانزعج من ذلك المحتل وأعوانه الذين كانوا يهدفون إلى القضاء على الوفد والحركة الوطنية وفي 17/11/1927م انتخب بالإجماع رئيساً لمجلس النواب عند افتتاح الدورة البرلمانية الجديدة خلفاً للزعيم سعد زغلول. وكُلف بمنصب رئاسة وزراء مصر سبع مرات فتم تكليفه بالوزارة الأولى في 16 مارس 1928م، وهي أول وزارة ائتلافية (من الوفد والأحرار الدستوريين)، وتم اقالته بعد 3 شهور من تشكيل حكومته التي تولى فيها منصب وزير الداخلية حيث استقال محمد محمود باشا وكيل حزب الأحرار الدستوريين الذي كان يشغل وزيراً للمالية في 17 يونيو وتوالى استقالات عدد من

الوزراء حيث استقال جعفر ولي باشا وزير الحربية والبحرية ثم أحمد محمد خشبة باشا وزير الحقانية ثم إبراهيم فهمي بك وزير الأشغال العمومية ، فيما وصفته الصحافة الوفدية بالمؤامرة لإسقاط وزارة النحاس.

وبالفعل تم اقالة الحكومة من قبل الملك فؤاد في 7 محرم 1347هـ / 25 يونيو 1928م، ونص خطاب الاقالة على أنه (لما كان الائتلاف الذي قامت على أساسه الوزارة قد أصيب بصدع شديد فقد رأينا اقاله دولتكم) وعهد الملك فؤاد إلى محمد محمود لتشكيل الوزارة الجديدة ومن أهم أعمال تلك الوزارة في فترتها القصيرة قانون تنظيم المدارس الابتدائية.

وشكل الوزارة الثانية في 1 يناير 1930م وكان كل أعضائها من حزب الوفد واحتفظ النحاس فيها أيضا بمنصب وزير الداخلية وسعت تلك الوزارة إلى إصلاح النظام الدستوري وسن تشريع لمحاكمة الوزراء بالإضافة إلى مساعيها للتوصل إلى اتفاق مع بريطانيا ينص على استقلال مصر وسافر النحاس على رأس وفد إلى لندن للتفاوض مع هندرسون وزير خارجية بريطانيا في ذلك الوقت لتحقيق المطالب الوطنية وكان من ضمن الوفد ثلاثة وزراء من الحكومة هم عثمان محرم باشا وزير الأشغال العمومية ومكرم عبيد افندي وزير المالية وواصف بطرس غالي باشا وزير الخارجية.

واختلف الفريقان المصري والبريطاني حيث رغب الفريق المصري في حق المصريين في الهجرة إلى السودان والإقامة والتملك فيها مثل الإنجليز بالإضافة إلى إلغاء اتفاقية 1899م حول السودان غير أن تلك المطالب قوبلت بالرفض من الجانب البريطاني وقال النحاس وقتها مقولته الشهيرة (تقطع يدي ولا اوقع معاهدة تفرق قطع السودان

وعلى إثر ذلك وبسبب تشدده في شأن وحده مصر والسودان وبسبب العراقيل التي وضعها القصر لمنع مناقشة قانون محاكمة الوزراء في المجلس ، كما حدث خلاف بين الوزارة والقصر حول تعيينات الشيوخ فتقدمت الحكومة باستقالتها إلى الملك فؤاد في 22 محرم 1349هـ/ 19 يونيه 1930م بعد 6 شهور من توليها المسؤولية.

ورأس الوزارة للمرة الثالثة في عهد مجلس الوصاية حيث توفي الملك فؤاد وتكون هذا المجلس الذي كلفه بتأليف الوزارة في 18 صفر 1355هـ/ 9 مايو 1936م باعتباره زعيماً للأغلبية بعد فوز الوفد في الانتخابات، وجمع فيها بين وزارتين هما الداخلية والصحة العمومية، وكان على قمه وفد المفاوضات الذي عقد مع الإنجليز معاهدة 1936م وانضمت مصر خلال وزارته إلى عصبة الأمم والغت الامتيازات الاجنبية في مصر واستمرت تلك الوزارة إلى 31 يوليو 1937م.

وتولى الوزارة الرابعة في أول أغسطس 1937م بعد صعود فاروق إلى العرش وفي تلك الولاية احتدم الخلاف بينه وبين الملك الشاب فاروق حول حفل التتويج وتعيين رئيس الديوان الملكي فأقاله في 30 ديسمبر 1937م.

بينما تشكلت الوزارة الخامسة في 4 فبراير 1942م ومن أهم أعمال الوزارة إنشاء ديوان المحاسبة وذكر المؤرخون أن استقالة الوزارة في 26 مايو 1942م بسبب خصومة بين النحاس وصديقه مكرم عبید الذي استمر لسنوات طويلة مستشاره والمدير الحقيقي لحزب الوفد فتم فصله من الوفد في يوليو سنة 1942م.

والوزارة السادسة من 26 مايو 1942م إلى 8 أكتوبر 1944م وأصدرت الوزارة قانوناً بمجانية التعليم الابتدائي وفي يوم الجمعة 15 سبتمبر سنة 1944م كان الملك في

موكب للصلاة إلى جامع عمرو بن العاص للصلاة فيه، ولاحظ أن بعض لافتات الترحيب كتب عليها يحيا الملك مع النحاس فأصدر أوامره إلى مدير الأمن بنزع اللافتات علي الفور وفي مساء نفس اليوم أصدر النحاس أمراً بإقالته بصفته وزيراً الداخلية وصمم الملك على بقاءه مما أدى إلى نشوب أزمة بينهم.

أما الوزارة السابعة عاد فيها الوفد إلى الحكم بعد انتخابات نال فيها الاغلبية وتولى النحاس الوزارة من 12 يناير 1950م، وعند توليه للوزارة كان الملك يوجس منه خيفاً وبالفعل صدقت ظنونه بأن رفض النحاس الاستجابة لطلب فاروق بتعيين حيدر باشا وزيراً للحربية كما رفض الاستجابة لاعتراض الملك على تعيين طه حسين وزيراً للمعارف والغت الوزارة معاهدة سنة 1936 م واعقبها الكفاح المسلح في منطقة القناة وانسحاب المصريين من المعسكرات البريطانية وانتهى الأمر بتدبير حريق القاهرة في 26 يناير 1952م ليتخذ الملك ذريعة إقالة الحكومة في اليوم التالي.

وهي آخر وزارة للوفد قبل قيام ثورة يوليو 1952م وبنهاية حكم الوفد هذه المرة كان الانتهاء الحقيقي للنظام الدستوري البرلماني الذي جعل للمواطن دوراً مهماً في القضية السياسية والاجتماعية حيث انتهى هذا العهد بإعلان الاحكام العرفية وأدى إلى إفلاس النظام واضطرابه إلى قيام ثورة يوليو 1952م.

وتوفي النحاس باشا في 24 اغسطس 1965م وخرجت جموع الشعب المصري تودعه إلى مثواه الأخير وكانت الجنازة بمثابة استفتاء شعبي حر على شعبية النحاس والوفد بعد محاولات عديدة لتشوية سمعته، رحل وهو بعيد عن السلطة بعد أن دافع عن حرية بلاده ودستورها وتحمل مرارة الغربة عندما نفي مع سعد زغلول، رحم الله النحاس وأعوانه من الوطنيين المحبين لتراب مصرنا الحبيبة.